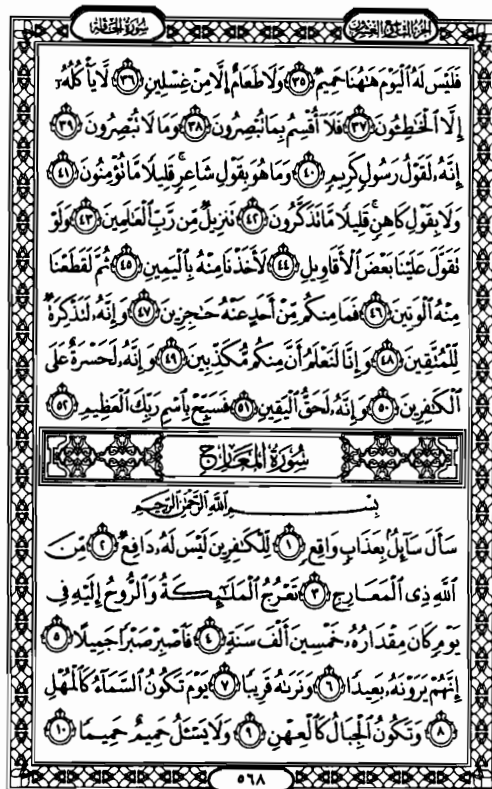


معاني الكلمات

- يحض : يحث ويحرض .
 حميم : قريب مشفق لشدة الهول والعذاب .
 غسلين : صديد أهل النار .
 تقول : اختلق وافتري علينا .
 الوتين : يناط القلب .
 حاجزين : مانعين الهلاك عنه .
 كالمهل : كالمعدن المذاب أو دردى الزيت .
 كالعهن : كالصوف المصبوغ ألوانا .



الأهداف الإجرائية والسلوكية :

- ١ - أن نعلم أن العقيدة هي الجد الذي لا هوادة فيه ، ولا تحتل تسامحا ولا مجاملة لأحد كائنا من كان .
- ٢ - أن نعلم أن القرآن عميق في الحق ، عميق في اليقين ، ويكشف عن الحق الخالص في كل آية .
- ٣ - أن نستشعر الرهبة من أهوال يوم القيامة .

المحتوى التربوي :

يمضى السياق فيذكر تكملة الإعلان العلوى عن مصير ذلك الشقى ، فلقد كان لا يؤمن بالله العظيم ، وكان لا يحض على طعام المسكين ، فهو هنا مقطوع فليس له اليوم من ينقذه من عذاب الله ، لا حميم - وهى القريب ولا شفيع يطاع ، وهو ممنوع فلا طعام له هاهنا إلا من غسلين ، وهو غسالة أهل جهنم من قيح وصديد ، وهذا طعام لا يأكله إلا المذنبون المتصفون بالخطيئة ، وهو منهم فى الصميم .

يقول صاحب الظلال : « وبعد ، فذلك هو الذى يجعله الله مستحقا للأخذ والغل والتصلية والسلسلة التى ذرعها سبعون ذراعا للجحيم ، وهو أشد دركات جهنم عذابا ، فكيف بمن يمنع

طعام المسكين ، ومن يبيع الأطفال والنساء والشيوخ ، ومن يبطش بطشة الجبارين بمن يمد إليهم يده باللقمة والكساء في برد الشتاء ؟ أين ترى يذهب هؤلاء ، وهم يوجدون في الأرض بين الحين والحين ؟ وما الذى أعده الله لهم وقد أعد لمن لا يحض على طعام المسكين ، ذلك العذاب في الجحيم ؟ .

وفي ظل هذه المشاهد العميقة الأثر في المشاعر يحىء التقرير الحاسم الجازم عن حقيقة هذا القول الذى جاءهم به الرسول الكريم ، فتلقوه بالشك والسخرية والتكذيب ، والأمر لا يحتاج إلى قسم أنه حق ، صادر عن الحق ، وليس شعر شاعر ، ولا كهانة كاهن ، ولا افتراء مفتر لا فها هو بحاجة إلى تأكيد بيمين ، والوجود أضخم بكثير مما يرى البشر بل مما يدركون ، وما يبصر البشر من الكون ، وما يدركون إلا أطرافاً قليلة محصورة ، فلا يعيش الإنسان سجين ما تراه عيناه ، ولا أسير ما يدركه وعيه المحدود ، فهناك وراء ما تدركه عينه ووعيه عوالم وحقائق أكبر - بما لا يقاس - بما وصل إليه ، عندئذ يتسامى على ذاته ويرتفع على نفسه ، فالذين يحصرون أنفسهم في حدود ما ترى العين ، ويدرك الوعى ، بأدواته الميسرة له .. مساكين ! سجناء حسهم وإدراكهم المحدود ، محصورون في عالم ضيق على سعته ، صغير يقاس إلى ذلك الملك الكبير .

وتقرير أنه قول رسول كريم لا يعنى أنه من إنشائه ، ولكن المراد هنا أنه قول من نوع آخر لا يقوله شاعر ، ولا يقول كاهن ، إنما يقوله رسول يرسل به من عند الله ، فيحمله من هناك من ذلك المصدر الذى أرسله ، والتعقيب في الآيات مدلوله نفى الإيثار ، ونفى التذكر ، فما يقول مؤمن عن الرسول : إنه شاعر ، ولا يقول متذكر متدبر ، إنه كاهن ، إنما هما الكفر والغفلة ينضحان بهذا القول النكير .

وفي النهاية يحىء التهديد الرعيب لمن يفترى على الله في شأن العقيدة وهى الجد الذى لا هوادة فيه ، يحىء لتقرير الاحتمال الواحد الذى لا احتمال غيره وهو صدق الرسول ﷺ وأمانته فيما أبلغه إليهم أو يبلغه ، بشهادة أن الله لم يأخذه أخذاً شديداً كما هو الشأن لو انحرف أقل انحراف عن أمانة التبليغ ، فلو تقول بعض الأقاويل التى لم يوح بها إليه ، لأخذاً الله فقتله بتقطيع يناط القلب ، وما يقدر أحد على أن يحجز بينه وبين الله إذا أراد به شيئاً من ذلك ، ونجىء الخاتمة بحقيقة الأمر ، فهذا القرآن يذكر القلوب النقية فتذكر ، ولا يؤثر في حقيقة هذا الأمر أن يوجد منكم مكذبون ، وإن هذا القرآن لندامة على الكافرين بما يرفع من شأن المؤمنين ، ويحط من قدر المكذبين ، وبما ينتهى إليه من إقرار الحق وإزهاق الباطل ، ثم أنه حجة عليهم عند الله في اليوم الآخر ، وإن هذا القرآن هو الحق الذى لا مرية فيه ، فهو حق اليقين وليس مجرد اليقين ، ويحىء التلقين العلوى بالتسبيح بما فيه من تنزيه وتمجيد ، وبما فيه من عبودية وخشوع .

سورة المعارج

كانت حقيقة الآخرة من الحقائق العسيرة الإدراك عند مشركى العرب ، ولقد لقيت منهم معارضة نفسية عميقة ، وكانوا ينكرونها أشد الإنكار ، ويتحدون الرسول ﷺ في صور شتى أن

يأتيهم بهذا اليوم الموعود ، أو أن يقول لهم : متى يكون ، والسورة تحكى أن هناك سائلا سأل وقوع العذاب واستعجله ، وتقرر أن هذا العذاب واقع فعلا ، وهذا العذاب للكافرين وهو واقع من الله ذى الدرجات والفواضل والنعم .

وبعد هذا الافتتاح الذى يقرر كلمة الفصل فى موضوع العذاب ووقوعه ومستحقه ومصدره ، وعلو هذا المصدر ورفعته ، أخذ فى وصف ذلك اليوم ؛ ففى هذا اليوم تصعد الملائكة والروح إلى الله ، والروح جبريل وأفرد بالذكر لماله من شأن خاص ، والملائكة تعرج فى شؤون هذا اليوم ومهامه ، ولا ندرى نحن طبيعة هذه المهام ، ولا كيف يصعد الملائكة ، ولا إلى أين يصعدوه ، وحسبنا أن نشعر بأهمية هذا اليوم الذى مقداره خمسين ألف سنة من سنى أهل الأرض وهو يوم واحد ، وقد تكون كناية عن طول هذا اليوم ، وإذا كان يوم واحد من أيام الله يساوى خمسين ألف سنة ، فإن عذاب يوم القيامة قد يروونه هم بعيداً وهو عند الله قريب ، ومن ثم يدعو الله نبيه ﷺ إلى الصبر الجميل على استعجالهم وتكذيبهم بذلك العذاب .

يقول صاحب الظلال : « والدعوة إلى الصبر والتوجيه إليه صاحبت كل دعوة ، وتكررت لكل رسول ، ولكل مؤمن يتبع الرسول ، وهى ضرورية لثقل العبء ومشقة الطريق ، ولحفظ هذه النفوس متماسكة راضية ، موصولة بالهدف البعيد ، متطلعة كذلك إلى الأفق البعيد ، والصبر الجميل هو الصبر المطمئن الذى لا يصاحبه السخط ، ولا القلق ولا الشك فى صدق الوعد ، صبر الواصل من العاقبة ، الراضى بقدر الله ، وهذا اللون من الصبر هو الجدير بصاحب الدعوة ، فهى دعوة إلى الله ، ليس له هو منها شئ ، فكل ما يلقاه فهو فى سبيل الله » .

ثم يرسم مشاهد اليوم الذى يقع فيه ذلك العذاب الواقع الذى يروونه بعيدا ويراه الله قريباً ، يرسم مشاهدته فى مجال الكون وأغوار النفس ؛ فالسماوات ستكون كالمعادن المذابة ، وتكون فيه الجبال كالصوف الواهن المنتفش ، وتنمل ما وراء هذا المشهد من الهول المذهل الذى ينطبع فى النفوس ويعبر عنه القرآن ، فالناس فى هم شاغل لا يدع لأحد منهم أن يتلفت خارج نفسه ، ولا يجد فسحة فى شعوره لغيره ، فلقد قطع الهول المروع جميع الوشائج ، وحبس النفوس على همها لا تتعداه .

ما ترشدنا إليه الآيات تربوياً :

- ١ - المتقون يجدون فى القرآن من الحياة والنور والمعرفة والتذكير ما لا يجده الغافلون .
- ٢ - ضرورة ذكر الله وتسييحه فى جميع الأحوال ، ففيه التنزيه والتمجيد والعبودية والخشوع لله تعالى .
- ٣ - الدعوة إلى الصبر والتوجيه إليه صاحبت كل دعوة ، وهى ضرورية لمواصلة الطريق إلى الله .

معاني الكلمات

يُصِرُّونَهُمْ : يعرّف الأحماء أحماءهم .

فصيلته : عشيرته الأقربين .

تؤويه : تضمه .

نزاعة للشوى : قلاعة للأطراف وجلد الرأس .

جزوعا : كثير الجزع والأسى .

مشفقون : خائفون .

مهطعين : مسرعين ماضى أعناقهم .

عزين : جماعات متفرقين .



الأهداف الإجرائية والسلوكية :

- ١ - أن نتعرف على ما كانت تواجهه الدعوة في مكة .
- ٢ - أن نعلم حقيقة النفس البشرية في مواجهة الشر والخير .
- ٣ - أن نستشعر قيمة الإيمان وأثره في حياة الإنسان وعاقبته .

المحتوى التربوي :

يمضى السياق فيذكر أن هؤلاء الكفار يعرضون بعضهم على بعض ولكن لكل منهم هم ، ولكل ضمير منهم شغله ، فلا يهجم في خاطر صديق أن يسأل صديقه عن حاله ، ولا أن يسأله عونه ، فالكرب يلف الجميع ، والهول يغشى الجميع ، فما بال المجرم ؟ إن الهول ليأخذ بحسه ، وإن الرعب ليذهب بنفسه ، وإنه ليود لو يفتدى من عذاب يومئذ بأعز الناس عليه ، ممن كان يقتديهم بنفسه في الحياة ، ويناضل عنهم ، ويعيش لهم ... بنيه وزوجه وأخيه وعشيرته القريبة التي تؤويه وتحميه ، بل إن لهفته على النجاة لتفقدته الشعور بغيره على الإطلاق ، فيود لو يفتدى بمن في الأرض جميعاً ثم ينجيهِ .

وبينما المجرم في هذه الحال يتمنى ذلك المحال ، يسمع ما ييشس ويقنط من كل بارقة من أمل ، أو كل حديث خادع من النفس ، كما يسمع الملا جميعاً حقيقة الموقف وما يجري فيه ، إنه مشهد

تطير له النفس شعاعا ، بعدما أذهلها كرب الموقف وهوله ، كلا في ردع عن تلك الأمانى المستحيلة في الافتداء بالبنين والزوج والأخ والعشيرة ومن في الأرض جميعا ، ويصف النار بأنها تتلظى وتحرق ، تنزع الجلود عن الوجوه والرؤوس نزعا ، وهى غول مفزعة ، ذات نفس حية تشارك في الهول والعذاب عن إرادة وقصد ، تدعو من كان في الدنيا يدعى إلى الهدى فيدبر ويتولى ، ولكنه اليوم إذا تدعوه جهنم لا يملك أن يدبر ويتولى ، ولقد كان من قبل مشغولا عن الدعوة بجمع المال وحفظه في الأوعية ، أما اليوم فالدعوة من جهنم لا يملك أن يلهو عنها ، ولا يملك أن يفتدى بها في الأرض كله منها .

ويتجه السياق إلى تصوير حقيقة النفس البشرية في مواجهة الشر والخير ، وفي حالتى إيمانها وخلوها من الإيمان ، ويقرر مصير المؤمنين كما قرر مصير المجرمين ، وصورة الإنسان - عند خواء قلبه من الإيمان كما يرسمها القرآن صورة عجيبة في دقة تعبيرها الكامل عن الملامح الأصلية في هذا المخلوق ، والتي لا يعصمه منها ولا يدفعه عنها إلا العنصر الإيماني الذى يصله بمصدر يجد عنده الطمأنينة التى تمسك به من الجزع عند ملاقة الشر ، ومن الشح عند امتلاك الخير ، فالإنسان الخاوى بسائته وملاحه الثابتة هلوع ، جزوع عند مس الشر ، يتألم للذعته ويجزع لوقعه ، ويحسب أنه دائم لا كاشف له ، ولا يتصور أن هناك فرجا ، ولا يتوقع من الله تغييراً ، ومن ثم يأكله الجزع ، ويمزقه الهلع ، وهو منوع للخير إذا قدر عليه يحسب أنه من كده وكسبه فيضنّ به على غيره ، ويصبح أسير ما ملك منه ، مستعبداً للحرص عليه ، ذلك أنه لا يدرك حقيقة الرزق ودوره هو فيه ، ولا يتطلع إلى خير منه عند ربه ، ومن ثم يبدو الإيمان بالله مسألة ضخمة في حياة الإنسان ، لا كلمة تقال باللسان ، ولا شعائر تعبدية تقام ، إنه حالة نفس ومنهج حياة ، وتصور كامل للقيم والأحداث والأحوال .

وصفة المؤمنين المستثنين من الهلع ، تلك السمة العامة للإنسان ، والصلاة فوق أنها ركن الإسلام وعلامة الإيمان ، هى وسيلة الاتصال بالله والاستمداد من ذلك الرصيد ، ومظهر العبودية الخالصة التى يتجرد فيها مقام الربوبية ومقام العبودية في صورة معينة ، وصفة الدوام التى يخصصها بها هنا تعطى صورة الاستقرار والاستقرار ، فهى صلاة لا يقطعها الترك والإهمال والكسل وهى صلة بالله مستمرة غير منقطعة، والزكاة على وجه التخصيص والصدقات المعلومة القدر وهى حق في أموال المؤمنين ، أو لعل المعنى أشمل من هذا وأكبر ، وهو أنهم يجعلون في أموالهم نصيبا معلوما يشعرون أنه حق للسائل والمحروم ، وفي هذا تخلص من الشح واستعلاء على الحرص ، كما أنه فيه شعوراً بواجب الواجد تجاه المحروم ، والشعور بأن للمحتاجين والمحرومين حقا في الأموال هو شعور بفضل الله من جهة ، وبأصرة الإنسانية من جهة ، فوق ما فيه من تحرر شعورى من ربة الحرص والشح ، وهو في الوقت ذاته ضمانة اجتماعية لتكافل الأمة كلها وتعاونها ، فهى فريضة ذات دلالات شتى في عالم الضمير وعالم الواقع سواء .

وصفة المؤمنين التصديق بيوم الدين ، وهو شطر الإيمان وذو أثر حاسم في منهج الحياة شعوراً وسلوكاً ، وميزان الحياة والقيم والأعمال والأحداث في يد المصدق بيوم الدين غير ميزانها في يد المكذب بهذا اليوم أو المستريب فيه ، المصدق بيوم الدين يعمل وهو ناظر لميزان السماء لا لميزان الأرض ولحساب الآخرة لا لحساب الدنيا ، ويتقبل الأحداث خيرها وشرها وفي حسابه أنها مقدمات نتائجها هناك ، فيضيف لها النتائج المرتقبة ، أما المكذب فيحسب كل شيء بحسب ما يقع له منه في هذه الحياة القصيرة المحدودة ، وتأتى درجة أخرى وراء مجرد التصديق بيوم الدين ، درجة الشعور بالتقصير في جناب الله على كثرة العبادة ، والخوف من تلفت القلب واستحقاقه للعذاب في أية لحظة ، وعذاب الله لا يأمنه أحد ممن عقل عن الله أمره إلا بأمان من الله تعالى ، والإسلام يريد مجتمعاً طاهراً نظيفاً ، ومن ثم يذكر القرآن من صفات المؤمنين أنهم يكفون فروجهم عن الحرام ويمنعونها أن توضع في غير ما أذن الله فيه من الزوجة والأمة ، فمن ابتغى غير الزوجة والأمة فقد عدى ما أحل الله له إلى ما حرمه عليه .

وهؤلاء إذا أؤتمنوا لم يخونوا ، وإذا عاهدوا لم ي غدروا ، وهم محافظون على الشهادة لا يزيدون فيها ولا ينقصون منها ولا يكتُمونها ، وتحتم الصفات بالصلاة كما بدت ، فذكر هنا المداومة عليها ، وذكر هنا المحافظة عليها في مواعيدها ، وفي فرائضها ، وفي سننها ، وفي هيئتها ، وفي الروح التي تؤدي بها ، فلا يضيعونها إهمالاً وكسلاً ، ولا يضيعونها بعدم إقامتها على وجهها ، وعندئذ يقرر مصير هذا الفريق من الناس بعد ما قرر من قبل مصير الفريق الآخر ، فهم في جنات وهم يلقون الكرامة في هذه الجنات ، فتجتمع لهم اللذة بالنعيم مع التكريم ، جزاء على هذا الخلق الكريم الذى يتميز به المؤمنون .

ثم يعرض السياق مشهداً للمشركين الذين كانوا في زمن النبي ﷺ وهم مشاهدون له ، ولما أرسله الله به من الهدى ، وأيده به من المعجزات ، ثم مع هذا كله فارون منه ، متفرون عنه ، نافرون منه عن اليمين والشمال ، أفيطمع هؤلاء من فرارهم عن الرسول ونفارهم عن الحق أن يدخلوا جنات النعيم ؟ بل مأواهم نار الجحيم ، وهم يعلمون مما خلقوا ، من ذلك الماء المهيّن الذى يعرفون ، فهم أهون على الله من أن تكون لهم دالة عليه .

ما ترشدنا إليه الآيات تربوياً :

١ - يجب أن نقاوم طبيعة الفزع عند التعرض للآلام ، وشدة البخل بها في اليد بتعاليم الدين ومبادئه .

٢ - المواظبة على أداء الصلوات في أوقاتها بخشوع مع مراعاة شروطها من صفات المؤمنين .

٣ - صيانة النفس عن الحرام وأداء الأمانات والوفاء بالوعود والعهود والشهادة بالحق ، وإعطاء الفقير حقه من صفات المؤمنين .

سورتا المعارج ونوح - الجزء التاسع والعشرون ————— ٤٨٣
أبصارهم خاضعة تغشاهم مهانة وذلة وانكسار في مقابلة ما استكبروا في الدنيا عن الطاعة ،
وسيعلمون عاقبة كفرهم وتكذيبهم بهذا اليوم الذى يذوقون فيه سوء العذاب .

سورة نوح

هذه السورة كلها تقص قصة نوح ﷺ مع قومه ، وتصف تجربة من تجارب الدعوة في الأرض ، وتمثل دورة من دورات العلاج الدائم الثابت المتكرر للبشرية ، وشوطا من أشواط المعركة الخالدة بين الخير والشر ، والهدى والضلال ، والحق والباطل ، ومن خلال عرض هذه الحلقة من حلقات الدعوة الإلهية على البشرية تتجلى حقيقة وحدة العقيدة وثبات أصولها وتأصل جذورها ، كما يتجلى ارتباطها بالكون وإرادة الله وقدره ، وأحداث الحياة الواقعة وفق قدر الله تعالى .

تبدأ السورة بتقرير مصدر الرسالة والعقيدة وتوكيده؛ فالمصدر الذى يتلقى منه الرسل التكليف ، كما يتلقون حقيقة العقيدة ، هو المصدر الذى صدر منه الوجود كله ، وصدرت منه الحياة ، هذا المصدر هو الله الذى خلق البشر وأودع فطرتهم الاستعداد لأن تعرفه وتعبده ، فلما انحرفوا عنها أرسل إليهم رسله يردونهم إليه ، ونوح ﷺ كان أول هؤلاء الرسل بعد آدم ﷺ ، ثم تذكر السورة فحوى رسالة نوح ﷺ في اختصار وهى الإنذار ، والحالة التى كان قوم نوح في النهاية لربه تجعل الإنذار هو أنسب ما تلخص به رسالته ، وأول ما يفتح به الدعوة لقومه ، الإنذار بعذاب أليم في الدنيا أو في الآخرة أو فيهما جميعا .

ومن مشهد التكليف ينتقل السياق مباشرة إلى مشهد التبليغ في اختصار ، البارز فيه هو الإنذار ، مع الإطماع في المغفرة على ما وقع من الخطايا والذنوب ، وتأجيل الحساب إلى الأجل المضروب في الآخرة للحساب ، وذلك مع البيان المجمل لأصول الدعوة التى يدعوهم إليها ، ونوح ﷺ مفصح عن نذارته ، مبين عن حجته ، لا يتمم ولا يجمجم ولا يتلعثم في دعوته ، ولا يدع لبسا ولا غموضا في حقيقة ما يدعو إليها ، وفي حقيقة ما ينتظر المكذبين بدعوته ، وما يدعو إليه بسيط واضح مستقيم ، فهو يدعو إلى عبادة الله وحده بلا شريك ، وتقوى الله تهمين على الشعور والسلوك ، وطاعة لرسوله تجعل أمره هو المصدر الذى يستمدونه منه نظام الحياة وقواعد السلوك ، وعبادة الله وحده منهج كامل للحياة ، يشمل تصور الإنسان لحقيقة الألوهية وحقيقة العبودية ، ولحقيقة الصلة بين الخلق والخالق ، ولحقيقة القوى والقيم في الكون وفي حياة الناس .

وتقوى الله هى الضمانة الحقيقية لاستقامة الناس على ذلك المنهج ، وطاعة الرسول هى الوسيلة للاستقامة على الطريق ، وهذه خلاصة دعوة الله في كل جيل وقد وعدهم عليها ما وعد